من تراث طلاب

مَعهَدُ المِيرَاث

في جمع فتاوى العلماء الثقات

خُذِ العَفْوَ وَأْمُرْ بِالعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الجَاهِلِينَ

تفسير قوله عز وجل - :

﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾

إن الحمد لله نحمده ، و نستعينه ، ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا.

من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له .وأ شهد أ ن محمداً عبدُه و رسولُه.

﴿يَاأَيها الذين آ مَنُوا اتقُوا اللهَ حَق تُقَاته ولاتموتن إلا وأنتم مُسلمُون﴾

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَتَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾.

﴿يَا أ يها الذين آ منوا اتقوا الله وقولوا قَو لاً سَديداً يُصلح لَكُم أَ عما لكم وَ يَغفر لَكُم ذُ نُو بَكُم وَ مَن يُطع الله وَ رَسُولَهُ فَقَد فَازَ فَوزاً عَظيماً ﴾

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين.

- أما بعد :

أيها الإخوة الكرام وقفة نقفها متأملين في قول ربنا - عز وجل - : ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ [1]

فهذه الآية المباركة العظيمة أتت - كما قال أهل العلم - على جماع الأخلاق وزمام الآداب ، ومن وفقه الله - عز وجل - بتدبر هذه الآية وفهمها والعمل بها ؛ وُفق بجماع الخلق ، ووفق بزمام الأدب الذي ينبغي أن يكون عليه المسلم في تعاملاته مع الناس .

ومن زينة شريعتنا شريعة الإسلام وجمالها وكمالها أنها هدت العباد إلى الأخلاق الفاضلة والآداب الكاملة ، والمعاملات العظيمة الكريمة المباركة ، وهذه الآية آية جامعة ؛ بل قال عنها بعض أهل العلم : " إنها أجمع آية في هذا الباب " :

﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾

اشتملت على ثلاث ركائز في باب الأدب والمعاملات

✓ الأولى : قوله - عز وجل - : ﴿ خُذِ الْعَفْوَ ﴾

[1]) سورة الأعراف [الآية : 199]

وهذا فيه بيان أن أخلاق الناس وطبائعهم ليست واحدة ؛ بل هم متفاوتون ، منهم الهادئ السمح المتّزن الخلوق الرفيق اللطيف الليّن ، ومنهم الشديد الغليظ العنيف ، ومنهم الواقع في الأمور المصادِمة للأخلاق تمام المصادَمة ؛ فهم ليسوا على درجة واحدة ، ومطلوب من المسلم أن يهيئ نفسه في ملاقاته للناس ومقابلته لهم واحتكاكه بهم أن يهيئ نفسه للتعامل مع أصناف وأجناس وأخلاق متباينات ، فمن يعاملهم ليسوا على مستوى واحد بل تفاوت ؛ ولهذا جاء هذا التوجيه المبارك .

﴿ خُذِ الْعَفْوَ ﴾ : أي ما سمحَت به أخلاق الناس وأحوالهم وطبائعهم ، خذ العفو ولا تنتظر المثالية في الأخلاق من كل من تلقاه وكل من تتعامل معه ؛ بل الناس فيهم في هذا الباب تفاوت عظيم ، فإذا هيئت نفسك هذه التهيئة أن تأخذ بالعفو وما سمحت به أخلاق الناس وتَيسر لهم القيام به ؛ سعدت في هذه الحياة ، أما إذا كنت تنتظر من كل من تلقاه أن يكون مثاليا في أخلاقه وفي تعاملاته لن تجد ذلك ؛ لأن الناس طبائع وأجناس ؛ منهم سريع الغضب ، منهم سريع الانفعال ، منهم الهادي ، منهم الرزين ، منهم العنيف ، منهم الغليظ ، منهم ... إلى آخره ، فهيئ نفسك لملاقاة هذه الأنواع والأصناف المتباينة من الأخلاق ، وخذ ما سمحت به نفوس الناس منها .

✓ ﴿ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ ﴾ :

أيضا عندما تأخذ بما سمحت به أخلاق الناس ؛ أيضا كن داعيا رفيقا ، ناصحا ، موجها بالرفق واللين واللطف إلى كل فضيلة وإلى كل خير ، خذ العفو وفي الوقت نفسه مُرّ بالعرف ؛ أي بالمعروف من كل قول

طيب فاضل ، وفعل كريم ندي ؛ ويكون التوجيه رفيقا من قلب ناصح حريص على دلالة الناس وهدايتهم إلى الخير ؛ فيلقى الناس بالصبر على أخلاقهم وفي الوقت نفسه يحسن التوجيه للناس ، يلقى الناس بالصبر على أخلاقهم ؛ لأن من لا يصبر على أخلاق الناس ليس مؤهلا لدعوتهم ، فالدعوة تحتاج إلى صبر على أخلاق الناس المتفاوتة المتباينة ولهذا قال : ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ ﴾ ، فيتلقى أخلاق الناس باللين ، اللطف ، المسامحة ، غض الطرف ، حُسن التعامل .

﴿ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ ﴾ : في الوقت نفسه تكون موجها .

الشخص الغليظ على سبيل المثال إذا وفقه الله - سبحانه وتعالى - بشخص يصبر قليلا على غلظته وفي الوقت نفسه يحسن توجيهه ودلالته برفق ولين ؛ بمثل هذا الصبر والدعوة تأتي الثمار - بإذن الله تبارك وتعالى- .

أما إذا كان إنسان لا يتحمل ولا يصبر ولا يحسن التلطف بالآخرين والرفق بهم وحسن توجيههم ودلالتهم كما قدمت ؛ ليس مؤهلا لدعوتهم ، قد قال الله - سبحانه وتعالى – لنبيه : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾ [2]

✓ ثم الأمر الثالث في الآية قال : ﴿ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾

وهذا أيضا مطلب عظيم في باب الأخلاق وجوامع الآداب

أن تعرض عن الجاهل ؛ بمعنى أن لا تقف عند عباراته الجاهلة ، وألفاظه النابية ، وكلماته السيئة ، ومعاملاته الفظة الغليظة ، لا

[2]) سورة آل عمرن [الآية : 159]

تقف عند هذه التعاملات ولا تلقي لها بالا ؛ بل أعرض عن جهل الجاهلين وروّض نفسك على ذلك ، أما إذا وقف الإنسان مع جهالة الجهال ورعوناتهم وسوء تصرفاتهم ، إذا وقف مع ذلك فإنه يتعب في هذه الحياة ويعاني معاناة شديدة ، إن لم يتحول إلى – أيضا- جاهل مثلهم فيجهل عليهم بمثل جهلهم عليه .

ألا لا يجهل أحد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلين

ربما يتحول إلى ملاقاته بجهل أشد من جهله عليه ؛ ولهذا الطريقة المثلى أن يعرض الإنسان عن الجاهل .

ولقد أمُرّ على السّفيه يسبّني فأمرّ ثمّة وأقول لا يعنيني

فالإعراض عن الجاهلين وعدم الوقوف عند جهلهم أو كلماتهم السيئة وألفاظهم النابية ؛ هو الذي يريح الإنسان من معاناة في هذه الحياة .

وإذا مضيت في ملاقاة الناس وفي تعاملهم ستجد من يسيء لك التعامل ، من يرفع عليك الصوت ، من يغلظ ، فإذا كنت تريد أن تقف مع كل متعامل من هؤلاء وتصغي إلى ما يقوله وترهق نفسك بمتابعة أقواله ؛ قال كذا ، وقال كذا ، وقال كذا ، وتنبري للمجابهة ؛ فهذا يرهقك ويؤلم قلبك ، وربما يجلب لك في نفسك الهم والغم .

بينما إذا أعرضت عن الجاهل وقلت في نفسك هذا مبتلى بالجهل ، مبتلى بهذا وأنا عافاني الله من ذلك ؛ تحمد الله الذي عافاك من مثل هذه المعاملات وتمضي في حياتك بمثل ذلك تسعد ، وفي الوقت نفسه تساعد الجاهل على مراجعة نفسه ؛ إذا أعرضت عن ألفاظه وسوء تصرفاته تساعده على مراجعة نفسه ؛ ولهذا كم من الجاهلين

بمثل هذه المعاملة تراجع ، ولو أن من عاملهم جابههم لتفاقم الأمر ولعَظُم الخطب .

وقد كان من هدي نبينا - عليه الصلاة والسلام - إذا خرج من بيته يقول :

(اللَّهُمَّ إِنِّي أعوذُ بِكَ أنْ أَضِلَّ أو أُضَلَّ ، أَوْ أَزِلَّ أوْ أُزَلَّ ، أوْ أظلِمَ أوْ أُظلَم ، أوْ أَجْهَلَ أو يُجهَلَ عَلَيَّ) [3]

وهذه الدعوات العظيمة المباركة التي كان يدعو بها - عليه الصلاة والسلام - مناسبة لحال كل من خرج من بيته ،

- ويحتاج إليها كل من خرج من بيته لمـــــاذا ؟

- لأنه سيواجه أجناس من المتعاملين ، وأصناف من الأخلاق ، وأنواع من التعاملات ؛ فيحتاج إلى حسن التجاء إلى الله - سبحانه وتعالى - بأن يعيذه من أن يَضل أو يُضل ، أو يَزل أو يُزل ، أو يَظلم أو يُظلم ، أو يَجهل أو يُجهل عليه فيستعيذ بالله - سبحانه وتعالى - من ذلك كله ويمضي هو في تعاملاته مع الناس في مثل هذه التوجيهات المباركة العظيمة في هذه الآية الكريمة وغيرها من الآيات والأحاديث التي تدعو إلى كوامل الآداب وجوامع الأخلاق .

اللهم اهدنا لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت ، واصرف عنا سيئها لا يصرف عنا سيئها إلا أنت ، والله أعلم .

وصلى الله وسلم على عبده ورسوله نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين .[4]

---

[3]) حديث صحيح رواه أبو داود والترمذي و النسائي وابن ماجة .

[4]) المصدر : الشيخ عبد الرزاق العباد البدر حفظه الله المصدر : شبكة سحاب السلفية :

انظر إلى أدب الصحابة - رضي الله عنهم - عند كتاب الله لا يتجاوزون ، إذا قيل لهم هذا قول الله وقفوا مهما كان .

- فقوله تعالى : ﴿ خُذِ الْعَفْوَ ﴾ : أي خذ ما عفا الناس وما تيسر ولا تطلب حقك كله لأنه لا يحصل لك .

- وقوله :﴿ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ ﴾ : أي أمر بما عرفه الشرع وعرفه الناس ، ولا تأمر بمنكر ، ولا بغير العرف ؛ لأن الأمور ثلاثة أقسام :

- 1 - منكر يجب النهي عنه.
- 2 - وعرف يؤمر به .
- 3 - وما ليس بهذا ولا بهذا فإنه يسكت عنه.

ولكن على سبيل النصيحة ، لا يقول قولا إلا فيه الخير لقول النبي - صلى الله عليه وسلم - : (مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ)[5]

- وأما قوله : ﴿ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ : فالمعنى أن من جهل عليك وتطاول عليك فأعرض عنه، لا سيما إذا كان إعراضك ليس ذلاً وخنوعاً .

مثل عمر بن الخطاب : إعراضه ليس ذلا وخنوعا ؛ فهو قادر على أن يبطش بالرجل ؛ لكن امتثل هذا الأمر وأعرض عن الجاهلين .

الجهل له معنيان :

✓ أحدهما : عدم العلم بالشيء .

---

http://al-badr.net/dl/doc/6BNsEFkPR4

[5]) رواه البخاري ومسلم .

✓ والثاني : السفه والتطاول .

ومنه فينبغي لنا إذا حصلت هذه الأمور كالغضب والغيظ ؛ أن نتذكر كتاب الله وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - من أجل أن نسير على هديه ، من أجل أن لا نضل ؛ فإن من تمسك بهدى الله فإن الله يقول : ﴿ فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴾[6]

والله الموفق .[7]

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

وَبِـهِ نَسْتعِينُ

﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾

قال الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله :" هذه الآية جامعة لحسن الخلق مع الناس ، وما ينبغي في معاملتهم ".

قوله :﴿ خُذِ الْعَفْوَ ﴾

قال الشيخ - رحمه الله -: " أي ما سمحت به أنفسهم ، وما سهل عليهم من الأعمال والأخلاق ، فلا يكلفهم ما لا تسمح به طبائعهم ؛ بل يشكر من كل أحد ما قابله به ، من قول وفعل جميل أو ما هو دون ذلك ، ويتجاوز عند تقصيرهم ويغض طرفه عن نقصهم ، ولا يتكبر على الصغير لصغره ، ولا ناقص العقل لنقصه ، ولا الفقير

[6]) سورة طه [الآية : 123]

[7]) المصدر : شرح العلامة الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين رحمه الله ، شرح أحاديث رياض الصالحين باب توقير العلماء والكبار وأهل الفضل .

لفقره ؛ بل يعامل الجميع باللطف والمقابلة بما تقتضيه الحال وتنشرح له صدورهم ".

قوله : ﴿ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ ﴾

قال الشيخ - رحمه الله - :" أي بكل قول حسن وفعل جميل ، وخلق كامل للقريب والبعيد ، فاجعل ما يأتي إلى الناس منك ، إما تعليم علم ، أو حث على خير من صلة رحم ، أو بِرِّ والدين ، أو إصلاح بين الناس ، أو نصيحة نافعة ، أو رأي مصيب ، أو معاونة على بر وتقوى ، أو زجر عن قبيح ، أو إرشاد إلى تحصيل مصلحة دينية أو دنيوية "

قوله : ﴿ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾

قال الشيخ - رحمه الله - : " ولما كان لا بد من أذية الجاهل ، أمر الله تعالى أن يقابل الجاهل بالإعراض عنه وعدم مقابلته بجهله ؛ فمن آذاك بقوله أو فعله لا تؤذه ، ومن حرمك لا تحرمه ، ومن قطعك فَصِلْهُ ، ومن ظلمك فاعدل فيه ". [8]

" العفو " خلق كريم وخصلة جميلة يزيل الله بها سخم القلوب ، ويطفئ بها نار الخصومة ويحيل بها الفرقة إلى ائتلاف ، والبغضاء والعداوة إلى مودة ، والقطيعة إلى صلة ، والله - جل وعلا - سمى نفسه بأنه عفو غفور ؛ قال تعالى : ﴿ فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴾ [9] ، ووصف نفسه بأنه أهل

[8]) المصدر : "تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنَّان" الشيخ العلامة : عبد الرحمن بن ناصر السعدي - رحمه الله تعالى - .

[9]) سورة النساء [الآية : 99]

التقوى وأهل المغفرة ، قال تعالى : ﴿ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَىٰ وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ ﴾ [10]

وبين أنه يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن سيئاتهم ، كما قال تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ [11] ، وقال تعالى : (ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ) ﴿ ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ اللَّهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴾ [12] ، ولا أحد أعظم عفوا من رب العالمين يُعطي العباد ويحلم عليهم ويؤذونه فيرزقهم ويعافيهم ، ويخالفون أمره فيصبر عليهم ، ويرتكبون ما حرم عليهم فيعفو لمن شاء منهم

يقول - صلى الله عليه وسلم- : (ما أحد أصبر على أحد سمعه من رب العالمين) ، يقولون ويدّعون أن له ولد وهو يرزقهم ويعافيهم ، وقد أمر الله بالعفو في قوله لنبيه

-صلى الله عليه وسلم - : ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾[13] ، وقال تعالى: ﴿ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ ﴾[14] ، وحقيقة العفو إعراضك عما ظلمك وصبرك على من أساء إليك وابتغاءك بذلك وجه الله، ولهذا العفو فوائد عظيمة

فمن فوائد العفو أنه خلق يحبه الله ، تقول عائشة : (يا رسول الله أرأيت إن علمت ليلة القدر ماذا أقول قال : "قولي اللهم إنك عفو تحب العفو فاعفو عني")

---

[10]) سورة المدثر [الآية : 56]

[11]) سورة الشورى [الآية : 25]

[12]) سورة الحج [الآية : 60]

[13]) سورة الأعراف [الآية : 199]

[14]) سورة الحجر [الآية : 85]

والعفو خلق النبي -صلى الله عليه وسلم- ، يقول أنس رضي الله عنه " ما رُفع للنبي دعوى فيها قصاص إلا أمر فيها بالعفو "

-ومن فوائد العفو أيضا تكفيره للسيئات ؛ قال - جل وعلا - : ﴿ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [15]، وقال جل وعلا: ﴿ وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [16]

-ومن فوائد العفو أنه يحث على الصبر ؛ قال تعالى : ﴿ وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الأُمُورِ ﴾[17]

- ومن فوائد هذا العفو أنه دليل على رقة القلب وسلامته من الأحقاد والشرور ؛ يقول - صلى الله عليه وسلم - : (الراحمون يرحمهم الرحمن ، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء) ، وقال - صلى الله عليه وسلم - : (إنما يرحم الله من عباده الرحماء) ، إن العفو خلق محمد - صلى الله عليه وسلم - وسائر الأنبياء والمرسلين الذين صبروا على أذى قومهم وتحملوا كل ذلك في ذات الله .

- أيها المسلم العفو عمن ظلمك وأساء إليك خلق كريم ؛ وهو من صفات المتقين الذين وعدهم الله جنات النعيم ، كما قال تعالى : ﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ

وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ* الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ

وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنْ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [18]

---

[15]) سورة النور[الآية : 22]
[16]) سورة التغابن [الآية : 14]
[17]) سورة الشورى [الآية : 43]

فوصفهم بأنهم يكظمون الغيظ فلا ينفذونه ، ومع هذا كظمان الغيظ يتناسون تلك السيئات ويعفون عنها وترتاح نفوسهم ، قال تعالى : ﴿ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنْ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ ؛ فهم يعفون عمن ظلمهم ويعطون من حرمهم ويصلون من قطعهم ويتقربون بذلك إلى الله ، والنبي - صلى الله عليه وسلم - يقول : (من أصيب بجراحة في جسده فتصدق به كفر الله عنه بمثل ما تصدق به)

أيها المسلم فعفوك دليل على سمو خلقك وكرم نفسك تعفو عمن أساء إليك ولا تحمل هما منه ؛ بل تجعل ذلك سبيلا لزيادة حسناتك ؛ فالمسيء إليك إنما أساء إلى نفسه ، قال فيك ما لم يكن فيك واتهمك بما أنت براء منه ووصفك بما لا يليق بك ؛ فهو المتحمل تلك الآثام والأوزار ، هو المتحمل لها فقابله بالعفو والإحسان تجد الخير الكثير عند رب العالمين. " [19]

- تفسير قوله - تعالى- : ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾

قوله -تعالى- : ﴿ خُذِ الْعَفْوَ ﴾

- قال عبد الله بن الزبير : " أمر الله نبيَّه – صلى الله عليه وسلم - أنْ يأخذ العفو مِن أخلاق الناس " .

- وقال مجاهد : " خذ العفو يعني العفو من أخلاق الناس وأعمالهم من غير تجسُّس، وذلك مثل قبول الاعتذار."

---

[18]) سورة آل عمران [الآية : 133- 134]

[19]) المصدر : http://mufti.af.org.sa/node/1767 : موقع الشيخ عبد العزيز عبد الله آل شيخ .

- و ﴿ الْعَفْوَ ﴾ : المُساهلة وترك البحث عن الأشياء ونحو ذلك.

ورُوِيَ أنه لما نزلت هذه الآية قال رسول الله لجبريل - عليه السلام -: (ما هذا؟ ، قال : لا أدري حتى أسأله ، ثم رجع فقال : إن ربك يأمرك أن تصِل مَن قطعك وتعطي مَن حرمك وتعفو عمَّن ظلمك .) [20]

- وقال ابن عباس -رضي الله عنهما- والسدي والضَّحاك والكلبي :

يعني خُذ ما عفا لك من الأموال وهو الفضل من العيال ، وذلك معنى قوله : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ ﴾ [21] ، ثم نُسِخَت هذه بالصدقات المفروضات.

- قوله - تعالى- : ﴿ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ ﴾

أي : بالمعروف ، وهو كل ما يعرفه الشرع .

- وقال عطاء : ﴿ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ ﴾ ؛ يعني بِـ" لا إله إلا الله ".

- ﴿ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ : أي جهل وأصحابه ، نَسَخَتها آية السيف.

- وقيل : إذا تسَّفَهَ عليكَ الجاهل فلا تُقابِله بالسَّفَه ؛ وذلك مثل قوله : ﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴾ [22] " [23]

---

[20]) أخرجه الطبري من طريق سفيان بن عيينة عن أبي المرادي: 13 / 303، قال ابن حجر في "الكافي الشاف" ص(66): "هذا منقطع، وأخرجه ابن مردويه موصولا من حديث جابر وحديث قيس بن سعد، وزاد في أوله: لما نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حمزة قال: والله لأمثلن بسبعين منهم - فجاء جبريل بهذه الآية، فذكر الحديث". وانظر: جامع الأصول لابن الأثير: 2 / 143-144 مع حاشية المحقق .

[21]) سورة البقرة [الآية : 219] .

[22]) سورة الفرقان (63)

[23]) المصدر : بتصرُّف يسير- تفسير البغوي- ج 2 ص634- ط. دار الكتب العلمية – بيروت

قال :﴿ خُذِ الْعَفْوَ ﴾ ، ولم يقل " اعف " ولا " افعل العفو " ؛ بل قال : :﴿ خُذِ الْعَفْوَ ﴾ ، والمراد بالعفو هنا : ما عفا وسهل من الناس ؛ لأن الناس يعامل بعضهم بعضًا ، فمن أراد من الناس أن يعاملوه على الوجه الذي يحب وعلى الوجه الأكمل ، فهذا شيء يصعب عليه ويشق عليه ويتعب وراء الناس .

وأما من استرشد بهذه الآية ، وأخذ ما عفا من الناس وما سهل ؛ فما جاء منهم قبله ، وما أضاعوه من حقه تركه ، إلا إذا انتهكت محارم الله .

فإن هذا هو الذي أرشد الله إليه ؛ أن نأخذ العفو ، فخذ ما تيسر من أخلاق الناس ومعاملتهم لك ، والباقي أنت صاحب الفضل فيه إذا تركته .

- ﴿ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ ﴾ : يعني أأمر بما يتعارفه الناس ويعرفه الشرع من أمور الخير ، ولا تسكت عن الأمر بالخير إذا الناس أخلوا به ، فيما بينك وبينهم ، حقك افعل به ما تشاء ؛ لكن الشيء المعروف ينبغي أن تأمر به .

- ﴿ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ : المراد بالجاهل هنا ليس هو الذي لا يعلم الحكم ؛ بل الجاهل السفيه في التصرف

كما قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ﴾ [24]

فالجاهلون هنا : هم السفهاء الذين يجهلون حقوق الغير ، ويفرطون فيها ، فأعرض عنهم ولا تبال بهم ، وأنت إذا أعرضت عنهم ولم تبال

[24]) سورة النساء [الآية : 17]

بهم فإنهم سوف يملَّون ويتعبون ، ثم بعد ذلك يرجعون إلى صوابهم ؛ ولكنك إذا عاندتهم أو خاصمتهم أو أردت منهم إن يعطوك حقك كاملًا ، فإنهم ربما بسفههم يعاندونك ولا يأتون بالذي تريد .

فهذه ثلاثة أوامر من الله - عز وجل - فيها الخير لو أننا سرنا عليها :

﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ ([25]

- قال علي بن أبي طلحة : عن ابن عباس قوله : ﴿خُذِ الْعَفْوَ ﴾ :

يعني خذ ما عفا لك من أموالهم ، وما أتوك به من شيء فخذه ، وكان هذا قبل أن تنزل " براءة "بفرائض الصدقات وتفصيلها ، وما انتهت إليه الصدقات .

قاله السدِّي .

- وقال الضحاك ، عن ابن عباس : ﴿ خُذِ الْعَفْوَ ﴾ : أنفق الفضل .

- وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس : قال : الفضل.

- وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في قوله : ﴿ خُذِ الْعَفْوَ ﴾ : أمره الله بالعفو والصفح عن المشركين عشر سنين ، ثم أمره بالغلظة عليهم ، واختار هذا القول ابن جرير .

- وقال غير واحد ، عن مجاهد في قوله تعالى : ﴿ خُذِ الْعَفْوَ ﴾ قال : من أخلاق الناس وأعمالهم من غير تحسس .

- وقال هشام بن عروة عن أبيه : أمر الله رسوله - صلَّى الله عليه وسلَّم - أن يأخذ العفو من أخلاق الناس ، وفي رواية قال : " خذ ما عفا لك من أخلاقهم "

وفي صحيح البخاري عن هشام عن أبيه عروة عن أخيه عبد الله بن الزبير قال : إنما أنزل ﴿ خُذِ الْعَفْوَ ﴾ من أخلاق الناس ،

---

[25]) المصدر : شرح كتاب : رياض الصالحين للشيخ العثيمين - رحمه الله تعالى- الجزء الثاني الصفحة [308] .

وفي رواية لغيره : عن هشام عن أبيه عن ابن عمر ، وفي رواية عن هشام عن أبيه عن عائشة أنهما قالا مثل ذلك والله أعلم.
وفي رواية سعيد بن منصور عن أبي معاوية عن هشام عن وهب بن كيسان عن ابن الزبير : ﴿ خُذِ الْعَفْوَ ﴾ قال : " من أخلاق الناس ، والله لآخذنه منهم ما صحبتهم " ؛ وهذا أشهر الأقوال ، ويشهد له ما رواه ابن جرير وابن أبي حاتم جميعا ، حدثنا يونس حدثنا سفيان - هو ابن عيينة - عن أمي قال : " لما أنزل الله - عز وجل - على نبيه - صلَّى الله عليه وسلم - : ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم- : (ما هذا يا جبريل ؟ " قال : إن الله أمرك أن تعفو عمن ظلمك ، وتعطي من حرمك ، وتصل من قطعك) ".
وقد رواه ابن أبي حاتم أيضًا ، عن أبي يزيد القراطيسي كتابة ، عن أصبغ بن الفرج ، عن سفيان ، عن أمي عن الشعبي نحوه ، وهذا - على كل حال - مرسل ، وقد روي له شاهد من وجوه أخر ، وقد روي مرفوعا عن جابر وقيس بن سعد بن عبادة ، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - ، أسندهما ابن مردويه .
- وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو المغيرة ، حدثنا معاذ بن رفاعة ، حدثني علي بن يزيد ، عن القاسم ، عن أبي أمامة الباهلي ، عن عقبة بن عامر -رضي الله عنه- ، قال : (لقيت رسول الله - صلَّى الله عليه وسلم- فابتدأته ، فأخذت بيده ، فقلت : يا رسول الله ، أخبرني بفواضل الأعمال ، فقال : (يَا عُقْبَةُ صِلْ مَنْ قَطَعَكَ ، وَأَعْطِ مَنْ حَرَمَكَ ، وَاعْفُ عَمَّنْ ظَلَمَكَ))
وروى الترمذي نحوه ، من طريق عبيد الله بن زحر عن علي بن يزيد ، به وقال حسن
قلت : ولكن " علي بن يزيد " وشيخه " القاسم أبو عبد الرحمن " ، فيهما ضعف .
وقال البخاري قوله : ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾

- العرف : المعروف .

حدثنا أبو اليمان ، أخبرنا شعيب ، عن الزهري ، أخبرني عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، أن ابن عباس قال : قدم عيينة بن حصن بن حذيفة ، فنزل على ابن أخيه الحر بن قيس - وكان من النفر الذين يدنيهم عمر - وكان القراء أصحاب مجالس عمر ومشاورته - كهولا كانوا أو شبابا - فقال عيينة لابن أخيه : " يا بن أخي ، لك وجه عند هذا الأمير ، فاستأذن لي عليه " ، قال : " سأستأذن لك عليه " ، قال ابن عباس : " فاستأذن الحر لعيينة " ، فأذن له عمر-رضي الله عنه- فلما دخل عليه قال : " هي يا ابن الخطاب ، فوالله ما تعطينا الجزل ، ولا تحكم بيننا بالعدل " ، فغضب عمر حتى هم أن يوقع به ، فقال له الحر : " يا أمير المؤمنين ، قال الله لنبيه -صلَّى الله عليه وسلَّم - : ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ وإن هذا من الجاهلين " ، والله ما جاوزها عمر حين تلاها عليه ، وكان وقافا عند كتاب الله - عز وجل - . انفرد بإخراجه البخاري .

- وقال ابن أبي حاتم : حدثنا يونس بن عبد الأعلى قراءة ، أخبرنا ابن وهب ، أخبرني مالك بن أنس ، عن عبد الله بن نافع ; أن سالم بن عبد الله بن عمر مر على عير لأهل الشام وفيها جرس ، فقال : " إن هذا منهي عنه " ، فقالوا : " نحن أعلم بهذا منك ، إنما يكره الجلجل الكبير ، فأما مثل هذا فلا بأس به ". فسكت سالم وقال : ﴿ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾

- وقول البخاري : العرف : المعروف نص عليه عروة بن الزبير ، والسدي ، وقتادة ، وابن جرير ، وغير واحد . وحكى ابن جرير أنه يقال : أوليته عرفا ، وعارفا ، وعارفة ، كل ذلك بمعنى :" المعروف " ، قال : وقد أمر الله نبيه -صلَّى الله عليه وسلَّم- أن يأمر عباده بالمعروف ، ويدخل في ذلك جميع الطاعات ، وبالإعراض عن الجاهلين ، وذلك وإن كان أمرا لنبيه - صلى الله عليه وسلم - فإنه تأديب لخلقه باحتمال من ظلمهم واعتدى عليهم ، لا بالإعراض عمن جهل الحق الواجب من حق الله ، ولا بالصفح عمن كفر بالله

وجهل وحدانيته ، وهو للمسلمين حرب.

- وقال سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة : في قوله : ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ قال : " هذه أخلاق أمر الله – عز وجل- بها نبيه -صلى الله عليه وسلم- ، ودله عليها ".

وقد أخذ بعض الحكماء هذا المعنى ، فسبكه في بيتين فيهما جناس فقال :

﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ ﴾ بعرف كما أمرت ، ﴿ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ولن في الكلام لكل الأنام فمستحسن من ذوي الجاه لين .

وقال بعض العلماء : الناس رجلان :

- فرجل محسن ، فخذ ما عفا لك من إحسانه ، ولا تكلفه فوق طاقته ولا ما يحرجه.

- وإما مسيء ، فمره بالمعروف ، فإن تمادى على ضلاله ، واستعصى عليك ، واستمر في جهله ، فأعرض عنه ، فلعل ذلك أن يرد كيده ، كما قال تعالى : ﴿ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ ۚ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾

وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ﴾[26]

وقال تعالى : ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾[27] - أي هذه الوصية- ، ﴿ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾ ﴾[28][29]

---

[26]) سورة المؤمنون [الآية : 96- 97]
[27]) سورة فصلت [الآية : 34]
[28]) سورة فصلت [الآية : 34 – 36]
[29]) المصدر : تفسير ابن كثير - رحمه الله - الصفحة (176)

وقد شرح العلامة الألباني - رحمه الله تعالى - معناها في سؤال عبر الهاتف..

أليس قوله تعالى : ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ ﴾ يدل على اعتبار العرف بين الناس؟

وتنبيه الشيخ على خطأ شائع بين الناس وهو قولهم : (قال الله تعالى أعوذ بالله من الشيطان الرجيم : خُذِ الْعَفْوَ....))

السائل : ﴿ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾.

الشيخ : أيوه ، قبل هذا من الخطأ الشائع ما أدري إذا كان سبق أن ذكرنا به أنه لا يجوز للمسلم أن يقول : " قال الله تعالى أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ " ؛ لأن الله ما قال هكذا ، وأنت عارف تماما ؛ لأنك كما علمت أنك تدرس يمكن اللغة العربية ؟

السائل : الرياضيات .

الشيخ : الرياضيات نعم ؛ على كل حال يفهم اللغة العربية فلما بتقول " قال الله تعالى أعوذ " ؛ فأعوذ مقول القول ؛ ... أيضا هذا خطأ

- لمـــــاذا ؟

- لأن الله ما قال :" بعد أعوذ بالله كذا وكذا " ، أيضا خطأ فانتبه ؛ وإنما إذا أراد المسلم المحاضر أو المذاكر أو الواعظ أو إلى آخره... أن يستدل بآية رأسا يفعل كما يفعل رسول الله ،

- وهـــذا معنـــاه أيـــش ؟

- (تركتم على بيضاء نقية ليلها كنهارها لا يضل عنها إلا هالك) ، كل الأحاديث التي يذكر فيها أن الرسول - عليه السلام - نزع بآية أو استشهد بها ليس بين يديها قال الله تعالى أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، وليس بين يديها قال الله بعد أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، هذا أولا ، من جهل الناس بعض الناس ، ثم من غفلة الآخرين يلي لسان حالهم يقول : " هات يدك وامش " ،

إلى أين ماشي ؟ مش داري ؛ فهذا خطأ

إذًا ؛ ﴿ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ ﴾ ، قال الله : ﴿ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾

العرف : باتفاق العلماء لا يقصد به أبدا العرف المخالف للسنة ، أظن هذا ما يحتاج إلى بحث يعني آه ؛

الشيء الثاني : العرف ليس له علاقة بالتحليل والتحريم ، له علاقة بألفاظ الناس الذين يتلفظون بلفظ عربي قد يكون له دلالة على معنى واسع في الأصل ؛ لكنه يستعمل في بعض البلاد على معنى ضيق ، إذا كان عرف تلك البلاد أنه يعنى بذاك اللفظ الذي أصل معناه واسع يقصد به معنى ضيق ؛ فتفسر كلمات الناس حينما يتكلمون بأمثال هذه الكلمات بهذا العرف السائد ، مثلا ؛ إذا نذر مسلم نذرا أن لا يأكل لحما

- ترى إذا أكل سمكا هـــل حنـــث في يميـــنه وترتب عليه كفارة اليمين أم لا ؟

- ﴿ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ ﴾ ، شو العرف ؟

- في البلد يلي ينطق فيها عن كلمة اللحم ، إن كان العرف هو يشمل السمك وهو مذكور في القرآن الكريم تستخرجون منه لحما طريا ﴿ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا ﴾ [30] بنص القرآن ، أطلق للفظة اللحم على ماذا ؟

- على السمك ؛ لكن إذا كان عرف لغة البلد بلد ما إذا قال اللحم ؛ إنما يتبادر إلى الذهن غير لحم السمك فحلف هو والله ما يزور فلان ما أدخل بيته وكذا وكذا ما آكل اللحم عنده ، وإذا الرجل عامل سمكا فأكل فهل حنث أم لا ؟

- هنا يؤمر بالعرف ولا يكلف أن يكفر ؛ لأن البلد ما يعرف اللحم إلا على السمك وعلى العكس من ذلك إذا كنت في بلاد ساحلية ولا يعرفون هناك الضأن إطلاقا ما يعرفون اللحم إلا أنه إيش لحم السمك ؛ فهو حلف أنه ما يأكل اللحم ،

- فإذا أكل لحم ضأن هـل حنـث ؟

ما حنث ؛ لأن اللحم في عرفهم لا يدخل فيه إلا لحم السمك وهكذا ؛ فإذا ليس المقصود بالآية تغيير أحكام الشرعية يا أخي وإنما حل مشاكل الناس إذا ما تكلموا بكلام أو تعاطوا بعض الأعمال ، وهذه الأعمال ليس لها حكم في الشرع يخالف ما هو نطق به ؛ ولكن هناك عرف خاص بتوسيع المعنى أو بتضييقه ؛ فإذا الاستدلال بهذه الآية فيما نحن كنا في صددها لا يجوز بوجه من الوجوه إطلاقا ؛ لأن هذا العرف سميناه يعني بالعادة والتقاليد الماشية بين الناس بنقول نعم ، وليس هذا هو المقصود ؛ لكن هذا مشروط فيه أن لا يخالف السنة لاسيما وقد عرفت من بياني السابق بأن هذه السنة هجرها يترتب

---

[30]) سورة النحل [الآية : 14]

من وراءها مفاسد كثيرة ، مفاسد أخلاقية ، وما قصة يعني ذلك المعلم الذي كان يضرب التلميذ لعدم قيامه عنك ببعيد ؛ وأظن بهذا يتم الجواب نعم .

أبو مالك : أنا راجعت كلمة العرف لا تعني العرف الشائع بين الناس ؛ وإنما العرف المعروف .

الشيخ : عند الشرع يعني .

السائل : أي نعم .

انتهي كلامه - رحمه الله تعالى – " .[31]

﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾

القول في تأويل قوله : ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾

قال أبو جعفر: اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك :

فقال بعضهم: تأويله : ﴿ خُذِ الْعَفْوَ ﴾ من أخلاق الناس ، وهو الفضل وما لا يجهدهم .

* ذكر من قال ذلك :

[31]) فتاوى الشيخ الألباني
المصدر: سلسلة الهدى والنور
رقم الشريط:(255).

15535 - حدثنا ابن حميد قال : حدثنا حكام ، عن عنبسة ، عن محمد بن عبد الرحمن ، عن القاسم ، عن مجاهد ، في قوله : ﴿خُذِ الْعَفْوَ﴾ قال : من أخلاق الناس وأعمالهم بغير تحسس .

15536 - حدثنا يعقوب وابن وكيع قالا حدثنا ابن علية ، عن ليث ، عن مجاهد في قوله : ﴿خُذِ الْعَفْوَ﴾ قال : عفو أخلاق الناس ، وعفوَ أمورهم .

15537 - حدثنا يونس قال: أخبرنا ابن وهب قال : حدثني ابن أبي الزناد ، عن هشام بن عروة ،عن أبيه في قوله : ﴿خُذِ الْعَفْوَ﴾ ، .. الآية . قال عروة : أمر الله رسوله - صلى الله عليه وسلم - أن يأخذ العفو من أخلاق الناس .

15538 - حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال : حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن ابن الزبير قال : ما أنزل الله هذه الآية إلا في أخلاق الناس ﴿خُذِ الْعَفْوَ﴾

15539 - حدثنا ابن وكيع قال : حدثنا محمد بن بكر ، عن ابن جريج قال : بلغني عن مجاهد : ﴿خُذِ الْعَفْوَ﴾ ، من أخلاق الناس وأعمالهم بغير تحسس .

15540 – قال : حدثنا أبو معاوية ، عن هشام بن عروة ، عن وهب بن كيسان ، عن ابن الزبير : ﴿خُذِ الْعَفْوَ﴾ قال : من أخلاق الناس ، والله لآخذنَّه منهم ما صحبتم .

15541 - .... قال : حدثنا عبدة بن سليمان ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن ابن الزبير قال : إنما أنزل الله : ﴿خُذِ الْعَفْوَ﴾ من أخلاق الناس.

15542 - حدثني محمد بن عمرو قال: حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : ﴿خُذِ الْعَفْوَ﴾ قال : من أخلاق الناس وأعمالهم ، من غير تحسس أو تجسس ، شك أبو عاصم .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : خذ العفو من أموال الناس ؛ وهو الفضل .

قالوا : وأمر بذلك قبل نزول الزكاة ، فلما نزلت الزكاة نُسِخ.

* ذكر من قال ذلك :

15543 - حدثني المثنى قال: حدثنا عبد الله بن صالح قال: حدثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ،قوله : ﴿خُذِ الْعَفْوَ﴾ ؛ يعني : خذ ما عفا لك من أموالهم ، وما أتوك به من شيء فخذه .

فكان هذا قبل أن تنزل براءة بفرائض الصدقات وتفصيلها وما انتهت الصدقات إليه.

15544 - حدثني محمد بن الحسين. قال: حدثنا أحمد بن المفضل قال : حدثنا أسباط, عن السدي : ﴿خُذِ الْعَفْوَ﴾ ، أما " العفو " : فالفضل من المال ، نسختها الزكاة.

15545 - حدثت عن الحسين بن الفرج قال : سمعت أبا معاذ يقول: حدثنا عبيد بن سليمان قال : سمعت الضحاك يقول في قوله : ﴿خُذِ الْعَفْوَ﴾ يقول : خذ ما عفا من أموالهم ، وهذا قبل أن تنزل الصدقة المفروضة.

وقال آخرون : بل ذلك أمرٌ من الله نبيَّه - صلى الله عليه وسلم - بالعفو عن المشركين ، وترك الغلظة عليهم قبل أن يفرض قتالهم عليه .

* ذكر من قال ذلك :

15546 - حدثني يونس قال : أخبرنا ابن وهب قال : قال ابن زيد ، في قوله : ﴿خُذِ الْعَفْوَ﴾ قال : أمره فأعرض عنهم عشر سنين بمكة ، قال : ثم أمره بالغلظة عليهم ، وأن يقعد لهم كل مَرْصَد ، وأن يحصرهم ،ثم قال : ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلاةَ﴾ [32]، الآية كلها. وقرأ : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ ﴾ [33]، قال وأمر المؤمنين بالغلظة عليهم ؛ فقال : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً ﴾ [34]، بعدما كان أمرهم بالعفو ، وقرأ قول الله : ﴿قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ﴾ [35]، ثم لم يقبل منهم بعد ذلك إلا الإسلام أو القتل ، فنسخت هذه الآية العفو. (15)

قال أبو جعفر : وأولى هذه الأقوال بالصواب قول من قال : معناه: خذ العفو من أخلاق الناس ، واترك الغلظة عليهم ، وقال : أُمر بذلك نبيّ الله - صلى الله عليه وسلم - في المشركين .

وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب ؛ لأن الله جل ثناؤه أتبع ذلك تعليمَه نبيَّه - صلى الله عليه وسلم - محاجَّته المشركين في الكلام ، وذلك قوله : ﴿ قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلا تُنْظِرُونِ ﴾ [36]، وعقَّبه

---

[32]) سورة التوبة [لآية : 5]
[33]) سورة التوبة [الآية : 73]
[34]) سورة التوبة [الآية : 123]
[35]) سورة الجاثية [الآية : 14]
[36]) سورة الأعراف [الآية : 195]

بقوله : ﴿ وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لا يُقْصِرُونَ ﴿٢٠٢﴾ وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلا اجْتَبَيْتَهَا ﴾ [37]؟ فما بين ذلك بأن يكون من تأديبه نبيَّه -صلى الله عليه وسلم- في عشرتهم أشبهُ وأولى من الاعتراض بأمره بأخذ الصدقة من المسلمين

فإن قال قائل : أفمنســوخ ذلك ؟

- قيل : لا دلالة عندنا على أنه منسوخ ، إذ كان جائزًا أن يكون ، وإن كان الله أنزله على نبيه - صلى الله عليه وسلم - في تعريفه عشرةَ من لم يُؤْمَر بقتاله من المشركين ، مرادًا به تأديبُ نبيّ الله والمسلمين جميعًا في عشرة الناس ، وأمرهم بأخذ عفو أخلاقهم ، فيكون وإن كان من أجلهم نزل تعليمًا من الله خلقه صفةَ عشرة بعضهم بعضًا ، إذا لم يجب استعمال الغلظة والشدة في بعضهم ، فإذا وجب استعمال ذلك فيهم ، استعمل الواجب ، فيكون قوله : ﴿ خُذِ الْعَفْوَ ﴾ ، أمرًا بأخذه ما لم يجب غيرُ العفو ، فإذا وجب غيره أخذ الواجب وغير الواجب إذا أمكن ذلك.

فلا يحكم على الآية بأنها منسوخة ، لما قد بينا ذلك في نظائره في غير موضع من كتبنا .

وأما قوله: ﴿وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ﴾ : فإن أهل التأويل اختلفوا في تأويله.

فقال بعضهم بما :

15547 - حدثني الحسن بن الزبرقان النخعي قال : حدثني حسين الجعفي ، عن سفيان بن عيينة ، عن رجل قد سماه قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ قال

[37]) سورة الأعراف [الآية : 202-203]

رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (يا جبريل، ما هذا؟ قال: ما أدري حتى أسأل العالِم! قال: ثم قال جبريل: يا محمد، إن الله يأمرك أن تَصِل مَن قطعك ، وتعطي من حرمك ، وتعفو عمن ظلمك).

15548 - حدثني يونس قال : أخبرنا سفيان ، عن أمَيّ قال : لما أنزل الله على نبيه - صلى الله عليه وسلم - : ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ ، قال النبي -صلى الله عليه وسلم- : (ما هذا يا جبريل؟ قال: إن الله يأمرك أن تعفوَ عمن ظلمك ، وتعطيَ من حرمك ،وتصل من قطعك).

وقال آخرون بما :

15549 - حدثني محمد بن عبد الأعلى قال : حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه : ﴿وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ﴾ ، يقول : بالمعروف .

15550 - حدثنا محمد بن الحسين قال: حدثنا أحمد بن المفضل قال : حدثنا أسباط, عن السدي : ﴿وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ﴾ ، قال : أما العرف : فالمعروف.

15551 - حدثنا بشر قال : حدثنا يزيد قال : حدثنا سعيد ، عن قتادة : ﴿ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ ﴾ ؛ أي بالمعروف.

قال أبو جعفر: والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله أمر نبيه - صلى الله عليه وسلم - أن يأمر الناس بالعرف : وهو المعروف في كلام العرب ، مصدر في معنى: " المعروف ".

يقال: " أوليته عُرْفًا ، وعارفًا ، وعارفةً" كل ذلك بمعنى : " المعروف ".

فإذا كان معنى العرف ذلك ؛ فمن " المعروف " صلة رحم من قطع ، وإعطاء من حرم ، والعفو عمن ظلم ، وكل ما أمر الله به من الأعمال أو ندب إليه ، فهو من العرف ، ولم يخصص الله من ذلك معنى دون معنى فالحق فيه أن يقال : قد أمر الله نبيه - صلى الله عليه وسلم - أن يأمر عباده بالمعروف كله ، لا ببعض معانيه دون بعض .

وأما قوله : ﴿ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ ؛ فإنه أمر من الله تعالى نبيّه - صلى الله عليه وسلم - أن يعرض عمن جهل ، وذلك وإن كان أمرًا من الله نبيَّه ، فإنه تأديب منه عز ذكره لخلقه باحتمال من ظلمهم أو اعتدى عليهم ، لا بالإعراض عمن جهل الواجبَ عليه من حق الله ، ولا بالصفح عمن كفر بالله وجهل وحدانيته ، وهو للمسلمين حَرْبٌ.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

* ذكر من قال ذلك :

15552 - حدثنا بشر قال: حدثنا يزيد قال: حدثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله : ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ ، قال : أخلاقٌ أمر الله بها نبيه -صلى الله عليه وسلم - ، ودلَّه عليها. " [38]

تفسير القرطبي :

قوله تعالى : ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾

فيه ثلاث مسائل :

- الأولى : هذه الآية من ثلاث كلمات ، تضمنت قواعد الشريعة في ا لمأمورات والمنهيات

[38]) المصدر : تفسير ابن جرير الطبري بصيغة pdf المجلد 13/ 226-232

- فقوله : ﴿خُذِ الْعَفْوَ﴾ : دخل فيه صلة القاطعين ، والعفو عن المذ
نبين ، والرفقب المؤمنين ، وغير ذلك من أخلاق المطيعين .

- ودخل في قوله : ﴿ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ ﴾ : صلة الأرحام ، وتقوى الله في ال
حلال والحرام ، وغض الأبصار ، والاستعداد لدار القرار .

- وفي قوله : ﴿ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ الحض على التعلق بالعلم ، وا
لإعراض عن أهل الظلم ، والتنزه عن منازعة السفهاء ، ومساواة الج
هلة الأغبياء ، وغير ذلك من الأخلاق الحميدة والأفعال الرشيدة .

قلت : هذه الخصال تحتاج إلى بسط ، وقد جمعها رسول الله - ص
لى الله عليه وسلم - لجابر بن سليم .

- قال جابر بن سليم أبو جري : " ركبت قعودي ثم أتيت إلى مكة فط
لبت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، فأنخت قعودي بباب الم
سجد ، فدلوني على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، فإذا هو جال
س عليه برد من صوف فيه طرائق حمر (فقلت : السلام عليك يا ر
سول الله . فقال : وعليك السلام . فقلت : إنا معشر أهل البادية ، قو
م فينا الجفاء ؛ فعلمني كلمات ينفعني الله بها ، قال : ادن - ثلاثا - فد
نوت فقال : أعد علي ، فأعدت عليه فقال : اتق الله ولا تحقرن من ا
لمعروف شيئا وأن تلقى أخاك بوجه منبسط ، وأن تفرغ من دلوك
في إناء المستسقي وإن امرؤ سبك بما لا يعلم منك فلا تسبه بما تعلم
فيه ، فإن الله جاعل لك أجرا وعليه وزرا ، ولا تسبن شيئا مما خولك
الله تعالى .) "

قال أبو جري : " فو الذي نفسي بيده ، ما سببت بعده شاة ولا بعيرا
. أخرجه أبو بكر البزار في مسنده بمعناه ".

وروى أبو سعيد المقبري عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : " إنكم لا تسعون الناس بأموالكم ؛ ولكن يسعهم منكم بسط الوجه وحسن الخلق "

- وقال ابن الزبير : " ما أنزل الله هذه الآية إلا في أخلاق الناس ."

- وروى البخاري من حديث هشام بن عروة عن أبيه عن عبد الله بن الزبير في قوله : ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ﴾ ؛ قال : " ما أنزل الله هذه الآية إلا في أخلاق الناس "

- وروى سفيان بن عيينة عن الشعبي أنه قال : " إن جبريل نزل على النبي - صلى الله عليه وسلم - ، فقال له النبي - صلى الله عليه وسلم - : (ما هذا يا جبريل ؟ فقال : لا أدري حتى أسأل العالم - في رواية : لا أدري حتى أسأل ربي - فذهب فمكث ساعة ثم رجع فقال : إن الله تعالى يأمرك أن تعفو عمن ظلمك وتعطي من حرمك وتصل من قطعك) .

فنظمه بعض الشعراء فقال :

مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ فِي ثَلَاثَة ... مَنْ كَمُلَتْ فِيهِ فَذَلِكَ الْفَتَى
إِعْطَاءُ مَنْ تَحْرِمُهُ وَوَصْلُ مَنْ ... تَقْطَعُهُ وَالْعَفْوُ عَمَّنْ اعْتَدَى

- وقال جعفر الصادق : أمر الله نبيه بمكارم الأخلاق في هذه الآية ، وليس في القرآن آية أجمع لمكارم الأخلاق من هذه الآية .

وقال - صلى الله عليه وسلم - : (بعثت لأتمم مكارم الأخلاق) .

وقال الشاعر :

كُلُّ الأُمُورِ تَزُولُ عَنْكَ وَتَنْقَضِي ... إِلا الثَّنَاءَ فَإِنَّهُ لَكَ باق
لَوْ أَنَّنِي خُيِّرْتُ كُلَّ فَضِيلَةٍ ... مَا اخْتَرْتُ غَيْرَ مَحَاسِنِ الأَخْلاقِ

- وقال سهل بن عبد الله : كلم الله موسى بطور سيناء . (قيل له : بأ ي شيء أوصاك ؟ قال : بتسعة أشياء ؛ الخشية في السر والعلانية ، و كلمة الحق في الرضا والغضب ، والقصد في الفقر والغنى ، وأمرني أن أ صل من قطعني ، وأعطي من حرمني ، وأعفو عمن ظلمني ، وأن يكون نطقي ذكرا ، وصمتي فكرا ، ونظري عبرة .)

- قلت : وقد روي عن نبينا محمد أنه قال : (أمرني ربي بتسع : الإخلا ص في السر والعلانية ، والعدل في الرضا والغضب ، والقصد في الغنى والفقر ، وأن أعفو عمن ظلمني ، وأصل من قطعني ، وأعطي من حرم ني ، وأن يكون نطقي ذكرا ، وصمتي فكرا ونظري عبرة .)

- وقيل : المراد بقوله : ﴿خُذِ الْعَفْوَ﴾ : أي الزكاة ؛ لأنها يسير من ك ثير .

وفيه بعد ؛ لأنه من " عفا " إذا درس ، وقد يقال : خذ العفو منه ؛ أ ي لا تنقص عليه وسامحه ، وسبب النزول يردهـ ، والله أعلم .

فإنه لما أمرهـ بمحاجة المشركين دله على مكارم الأخلاق ، فإنها س بب جر المشركين إلى الإيمان ؛ أي اقبل من الناس ما عفا لك من أخلا قهم وتيسر ؛ تقول :" أخذت حقي عفوا صفوا " ؛ أي سهلا .

الثانية : قوله تعالى : ﴿ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ ﴾ : أي بالمعروف ، وقرأ عيسى بن عمر " العرف " بضمتين ، مثل الحلم ، وهما لغتان .

والعرف والمعروف والعارفة : كل خصلة حسنة ترتضيها العقول ، و تطمئن إليها النفوس ، قال الشاعر :

مَن يَفعَلِ الخَيرَ لا يَعدَم جَوازِيَهُ لا يَذهَبُ العُرفُ بَينَ اللَهِ وَالناسِ

- وقال عطاء : " وأمر بالعرف يعني بلا إله إلا الله " .

الثالثة : قوله تعالى : ﴿ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ ؛ أي إذا أقمت عليهم الحجة وأمرتهم بالمعروف فجهلوا عليك فأعرض عنهم ؛ صيانة له عليهم ورفعا لقدره عن مجاوبتهم ؛ وهذا وإن كان خطابا لنبيه عليه السلام فهو تأديب لجميع خلقه .

- وقال ابن زيد وعطاء : " هي منسوخة بآية السيف " .

- وقال مجاهد وقتادة : " هي محكمة " ؛ وهو الصحيح لما رواه البخاري عن عبد الله بن عباس قال : " قدم عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر فنزل على ابن أخيه الحر بن قيس بن حصن ، وكان من النفر الذين يدنيهم عمر ، كان القراء أصحاب مجالس عمر ومشاورته ، كهولا كانوا أو شبانا ، فقال عيينة لابن أخيه : يا ابن أخي ، هل لك وجه عند هذا الأمير ، فتستأذن لي عليه ، قال : سأستأذن لك عليه ؛ فاستأذن لعيينة ، فلما دخل قال : يا ابن الخطاب ، والله ما تعطينا الجزل ، ولا تحكم بيننا بالعدل ! قال : فغضب عمر حتى هم بأن يقع به . فقال الحر : يا أمير المؤمنين ، إن الله قال لنبيه - عليه السلام - : ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ ؛ وإن هذا من الجاهلين ، فوالله ما جاوزها عمر حين تلاها عليه ، وكان وقافا عند كتاب الله - عز وجل - .

قلت : فاستعمال عمر - رضي الله عنه - لهذه الآية واستدلال الحر بها يدل على أنها محكمة لا منسوخة ، وكذلك استعملها الحسن بن علي بن أبي طالب - رضي الله عنهما - ؛ على ما يأتي بيانه ، وإذا كان الجفاء على السلطان تعمدا واستخفافا بحقه فله تعزيره ، وإذا كان غير ذلك فالإعراض والصفح والعفو ؛ كما فعل الخليفة العدل . [39]

[39]) المصدر : http://quran.ksu.edu.sa/tafseer/qortobi/sura7-aya199.html#qortobi

سؤال وجه للعلامة الشيخ محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله

حـكم قيام الصـغير للكبـير ؟

السائل : نعود لقضية القيام والجلوس يا شيخ .

الشيخ : تفضل أحسنت .

السائل : في هذا البلد الذي نعيش فيه المجتمع يعني ، في عرف بين الناس أم القيام من الصغير إلى الكبير كما تفضل أنه ممكن أنه نحن يمكن أن نتلاشى بعض هذه العادات مع الناس المتعلمين المطبقين للسنة ؛ لكن فما بال أدب الإنسان مع والده الشيخ الكبير يعني كيف يتصرف في هذا الكلام وخاصة إذا كان يجلس على الأرض ودخل والده عليه فـكيف يتصـرف معـه ؟

هذا سؤال واحد .

السؤال الثاني : أليس هذا يكون عرفا بين الناس وهو ما ينطبق عليه بسورة الأعراف حيث يقول الله - سبحانه وتعالى - أعوذ بالله من الشيطان الرجيم : ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ ؟ وجزاكم الله خيرا .

الشيخ : وإياك ؛

أما كيف يتصرف مع الذين لا يعرفون هذه السنة ، وكيف يتصرف مع والده حينما يدخل على ابنه وهو جالس ، هذه بلا شك أمور لا يمكن الجواب عنها جوابا تفصيليا عاما ؛ وإنما الجواب عنه كما سبق مني سالفا ؛ وهو أن المسلم يتعامل بهذه السنة مع الناس الذين يعرفونها ، وعلى ضوء هذا ينبغي أن يتعامل مع من سميت ؛ لكن لاشك أن هناك أحوال وظروف تختلف تماما ، لنأخذ مثلا

الوالد ، فرب والد مع ابن له كالملك مع فرد من أفراد رعيته ، مستكبر متعجرف ككثير من الآباء الذين يعني يبلغنا أخبارهم اليوم ، لا يعرفون حراما ولا حلالا بينما نجد أبناءهم نشأوا على طاعة الله ؛ وبعضهم راهق أو جاوز ، يريد أن يصلي الصلوات الخمس في المسجد فيمنعه أبوه ويحول بينه وبين طاعته لربه - عز وجل - ؛

- فـمـاذا يفـعل الولـد مع مثـل هـذا الوالـد ؟

لا سبيل إلى إصلاح هذا الوالد وقد أكل الدهر عليه وشرب ؛ لكن والد آخر ليس كهذا ، والد آخر يشعر بنعمة الله عليه أن رزقه غلاما صالحا وأنه يسعى في طلب العلم سعيا حثيثا فهو يتعلم من ابنه ويعترف ويقول والله نحن قبل الزمان هذا ما كنا نعرف سنة وبدعة وواجب وفرض إلى آخره ... ، كنا نعيش كما كانت تعيش البهائم ؛ هذا من السهل جدا أن يتفاهم الولد معه بحيث أنه يفهمه أنه أنا تعظيمي لك هو اِتباعي لأوامرك وإطاعتي لك ، هذا هو تعظيم لك وليس أن أقوم نفاقا وإلى آخره ؛ هذا يمكن أن يتفاهم معه ؛ أما النوع الأول بدك تقوم غصبا عنك وإلا طردت من داره ، وهذا واقع كثيرا مع الشباب الذين لا يحسنون مسايسة الآباء الذين عاشوا في الجاهلية ؛ فسوف يضطر إلى أن يخرج خارج الدار وهو لا الجاهلية ؛ فسوف يضطر إلى أن يخرج خارج الدار وهو لا يستطيع يا أن يعدل شيء من حماسه ؛ لأنه كل شيء له حد.

أبو مالك : والله الأحسن العدل يا شيخ ." [40]

---

[40]) المصدر : القسم : الشريط رقم : 255 - بتاريخ : 2014-04-01 ، المصدر : موقع الشيخ الألباني - رحمه الله تعالى - .

فريق صيانة السيلفي